ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (١٢٥) - اعرف امامك (ج٢٤)
صحائف العقيدة السليمة - القسم(18)
الصحيفة (٤) - شؤون النبوة الخاتمة (ق٥)
الشأن الثالث: ما بين التنزيل والتأويل (ج٣)
عبد الحليم الغزّي

-المسيرة التدريجية لحركة البرنامج التأويلي
-فهم الدين وفقاً لرؤية " ما بين التنزيل والتأويل " سيجيب على كل الأسئلة والإشكالات
- نظرية الإنتقال من مرحلة التنزيل الى مرحلة التأويل الحل الكامل لتخبّط الفقهاء
الجمعة : ٢٤/شهررمضان/١٤٤٢هـ - الموافق ٧/٥/٢٠٢١م

كي تكتمل الصورةُ في الشأنِ الثالث من شؤونِ النُبوّةِ الخاتمة؛ (ما بين التنزيلِ والتأويل)، لابُدَّ أن أمرّ ولو بنحوٍ سريع على برنامج حركةِ التأويلِ التدرّجيّةِ في سيرتهم صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين.
لذا سأعرضُ بين أيديكَم مُوجزاً سريعاً بهذا الخصوص:
مرحلةُ التأويلِ بدأت من بيعةِ الغدير من يوم الغدير الشريف، بدأت مرحلةُ التأويلِ الّتي نسخت مرحلة التنزيل وصارت حركتُها بنحوٍ تدريجيَ.
أميرُ المؤمنين وإمامنا الحسنُ السبط أهمَّ جانبٍ في مسيرتهم وفي برنامجهم في مرحلةِ التأويل: **ما قاما به من تمهيد لمشروع عاشوراء.**
القضيةُ واضحةٌ تبدأ من مقتلِ رسول الله صلَّى الله عليه وآله، بعد أن قتلِ الصحابةُ بالتعاونِ مع بعضٍ من نساءِ النَّبي قتلوا رسول اللهِ مسموماً صلَّى اللهُ عليه وآله وصلنا إلى هذهِ النتيجةِ الواضحة من أنَّ الأُمَّة قد غدرت بنبيها وغدرت ببرنامجه.
خُلاصةُ القول: غدروْا بالغديرِ وتوقَّفَ برنامجُ الغدير، لابُدَّ أن ننتقل إذاً إلى البرنامج البديل، إلى البرنامج الثاني.
البرنامجُ الثاني: **هو برنامجُ القربان.**
برنامجُ القرابين ابتدأ هذا البرنامجُ بالقربان الأول من قرابين مُحَمَّد صلَّى الله عليه وآله: بفَاطمَة معَ جنينها المحسن، قتلوا فَاطمَة قتلوها، النصوصُ واضحةٌ عن مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد في أنَّ فَاطمَة قُتلت، ومُحَمَّدٌ أخبرنا عَن أنَّها ستُقتل. فَاطمَةُ قُتلت، هذهِ الأُمَّةُ الغادرةُ الَّتي قتلت نَبيها وغدرت بغديرِه، الأُمَّةُ هي هي الَّتي قتلت أُمَّ أَبيها، قتلتَ فَاطمَة، قتلت قيمةَ الدين.
مشروعُ القرابين:
بوابتهُ تضحيةُ فَاطمَة، فهي القيِّمةُ على الدينِ فلابُدَّ أن تبدأ التضحيةُ منها، هي القيِّمةُ على الدين، لوَ أنَّ الأُمَّ خُيِّرت بين ذبحها وذبحِ رضيعها أمام عينيها فإنَّ الأُمَّ فإنَّ الوالدة ستختارُ ذبحها قبل أن ترى ذبح رضيعها بين يديها، قبل أن ترى ذبحَ أولادها بين يديها.
القيمة على الدين إنَّها القربانُ الـمُحمدي الأوَّل، كُلُّ ذلك كانَ مُقدِّمةً لمشروعِ عاشوراء إنَّهُ مشروع القُربان، وهذه التسميةُ إنَّما أستنبطها من عقيلة بني هاشم حينَ خرجت في ذلكَ الليل البهيم في ليل الحادي عشر خرجت تسيرُ في ذلكَ الظلامِ بينَ الأشلاءِ المجزَّرة هنا وهناك، إنَّها رمالُ الطفوف، توجَّهت عقيلةُ بني هاشم إلى الجسد الشريف هناك ..
توجَّهت إلى ذلك الجسد الشريف، وحين وقَفت عند الحُسين وضعت يديها تحت ظهره، إنَّهُ الصدرُ الَّذي داستهُ الحوافرُ والظهرُ كذلك، لقد داسوا صدرهُ وظهره، و ضعت يديها تحت منكبيه وما كانَ هناكَ من رأسٍ لعزيزها، لقد قطعوا الرأس الشريف، وضعت يديها تحتَ ظهره الشريف ورفعت أشلاءهُ المقدَّسة باتجاه السّماء ورمقت السّماء بنظرها: (**اللَّهُمَّ تَقَبَّل مِن آلِ مُحَمَّدٍ هَذا القُربَان** - مشروعُ القربان - **اللَّهُمَّ تَقبَّل مِن آلِ مُحَمَّدٍ هَذا القُربان**).
الحركةُ التأويليةُ لبرنامجِ أمير المؤمنين وإمامنا الحسن المجتبى: كانت تمهيداً لمشروع عاشوراء، أنا لا أتحدَّثُ عن كُلِّ تفاصيلِ البرنامج التأويلي، إنَّما هي صورةٌ جانبيةٌ، صورةٌ مقطعيةٌ، الوقتُ لا يكفي للحديث عن التفاصيل.
وحين جاء دور الحسينِ في مرحلة التأويلِ: أكمل ما بدأ بهِ الأميرُ والمجتبى في تمهيد الأرض لمشروعِ عاشوراء ثُمَّ قام بتنفيذه، الَّذي نفَّذ المشروع نفَّذهُ ليس بنفسه، نفَّذه بنفسه وعلى نفسه، فالحُسين كما في زيارة النَّاحية المقدَّسة إمامَ زماننا هو الَّذي يصفهُ: (**بأَنَّهُ قَد سَمَحَت نَفْسُهُ بِمُهْجَتِه**)، الحسينُ نفَّذَ المشروعَ بنفسه وعلى نفسه.
والحديثُ عن الحُسَين حديثٌ طَويل، لكنَّني أقول بالإجمالِ:
مشروع الحسينِ كان مشتملاً على:
- هدف قريبٍ.
- وهدف متوسط.
- وهدف بعيد.
أمّا الهدفُ القريبُ: فكان مشروعُ الحُسينِ يهدفُ إلى فضحِ ما قامت به سقيفةُ بني ساعدة، لقد وضعَ النقاط على الحروف، وجَلَّ الأمر واضحاً، دماءُ الحُسينِ شخَّصت للَّذين يبحثونَ عن الحقيقة، شخَّصت تلكَ الدماءُ الَّتي تدفَّقت على رمال الغاضريات، شخَّصت الضلال الَّذي رَسمهُ أصحاب الصحيفة في صحيفتهم الملعونة، وبعد ذلك نفَّذوه وطبّقوه في سقيفتهم المشؤومة، هذا المشروعُ الحُسينيّ في هدفهِ الأوَّل في الهدف القريب، وقد تحقَّق هذا الأمر جلياً.
لكن في الوقت نفسه فإنَّ الأُمَّة ارتدَّت، لا تسمعوْا لوائلي النَّجف ولا تقرأوْا في كتب محمد باقر الصدر وتلامذته، لا تنصتوْا لبياناتِ مراجع النَّجف من أنَّ الأُمَّة صَلُح حالها بعدَ عاشوراء، الأُمَّة ارتدت، هذا هو منطقُ أحاديثُ العترةِ ومنطقُ الأدعيةِ والزيارات.

ما جاء في زيارة الأربعين، وفي غيرها كزيارة العيدين مثلاً، ما جاءَ في الزيارات الشريفة حينما نزور الحُسين صلواتُ الله عليه ونقول، إنَّني اقرأ عليكم من (مفاتيح الجنان) وهذه زيارة الأربعين: **(وَبَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ لِيَسْتَنْقِذَ عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلَالَةِ)**، هؤلاء هُمَ القِلَّةُ القليلةُ الَّتي خرجت من صفة الارتد اد، وهم مجموعةٌ حدَّدتها الرواياتُ من أصحابِ السجَّاد صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه، وإلَّا فإنَّ الأمَّة ارتدَّت.

صاحبُ الأمر في زيارة الناحية المقدسة يُخاطبُ الحُسين: **(لَقَد قَتَلُوْا بِقَتْلِكَ الإِسْلَام)** ..

هذا الهدفُ الأول وهو هدفٌ قريب، قطعاً سَيد الشُهداء لا يعبأ لهذا الهدف كثيراً مثلما يعبأ للهدفين الباقيين، هو هدفٌ مهم لكنَّني أُقايسُ هنا بين الأهداف.

الهدفُ الثاني: الحفاظُ على منهجية الكتابِ والعترة.

وبعبارة أدق: (الحفاظُ على برنامجِ العترة الطاهرة)، فقد مرّ الكلامُ في الحلقة الماضية من أنَّ حديث الثَّقَلينِ هو من الأحاديث البرزخية، الهدفُ الثاني أن يتواصل برنامجُ العترة الطاهرة، وهذا قد تحقَّق بالفعل وهو الهدفُ المتوسط.

أمَّا الهدفُ الأبعد الهدفُ الأصل: إنَّهُ تحقيقُ المشروع المهدوي عبر صناعة حاضنة حُسينية، من اللحظة الَّتي قُطع فيها رأس الحسين وإلى يوم الظهور.

فهناك حاضنةٌ حُسينيّةٌ هي هذه الَّتي تتحدَّثُ عنها زيارةُ الأربعين، من أنَّ الحُسَين استنقذ العباد المخلصين من حيرة الجهالة والضلالة، أولئكَ الَّذين سيولدون في هذه الحاضنة المقدَّسة في الحاضنة الحُسينية.

هل نحنُ جزء من هذ ه الحاضنة؟ أم أنَّ الحاضنة في مكانٍ بعيد عنَّا ونحنُ الَّذين ندَّعي أنَّنا خُدَّامُ الحُسينِ فإنَّنا نقومُ بخدمتنا في مكانٍ آخر في حاضنة أنشأتها لنا سقيفةُ بنيَ نجف، ويبدو أنَّ الحقيقة هي هذه، فإنَّنا نخدمُ في حاضنة وسخة قذرة، الحاضنةُ الَّتي أنشأتها لنا سقيفةُ بني نجف بني مرجعيَّة، وإلَّا فكُلُّ الخُطباء وكُلُّ الشعراء وكُلُّ الرواديد يُردِّدونَ من أنَّ الأُمَّة قد صَلُحَ حالها بعد مقتل الحُسين وكُلُّ ذلكَ يُخالفُ بدرجة مئة بالمئة ما قالهُ أميرُ المؤمنين قبل مقتلَ الحُسين، ومَا يظهر من كلمات سَيد الشُهداء نفسه في يوم الطفوف، وما جاءت به أحاديثُ العترة الطاهرة وزياراتهم وأدعيتهم، لا أريدُ أن أقف كثيراً عند هذه النقطة.

وبعد الحُسينِ جاءنا السجَّادُ: هنا هنا بدأَ التأسيسُ الحقيقيّ العمليّ لمرحلة التأويل، كُلُّ الَّذي مرّ بكُلِّ عظائم أموره، ما جرى على أميرِ المؤمنين، ظُلامةُ أميرِ المؤمنين هي الظُلامةُ الأعظم، ظُلامة عليٍ أشدُّ من ظُلامة فَاطمَة، فَظُلامةُ فَاطمَة هي جزء من ظُلامة عليٍ، وظُلامةُ الحَسنِ تلكَ الظُلامةُ الَّتي بتخطيط من الحسنِ أن خَزَنها في خزائنِ الكتمان، لماذا؟ كي يفسحَ المجال لظُلامة الحُسينِ أن تنتشر، لأنَّ مَشروع الحُسينِ أن يُجيَش العواطف وأن يُعسكرَ الوجدان عبر ما جرى عليه من ظُلمٍ واستباحة وألمٍ ووجع، ما جرى على الحُسينِ بكُلِّ تفاصيله كانَ آلةً ووسيلةً لتجييش العواطف ولعسكرة الوجدانِ عبرَ الأجيال، فلسنا بحاجةٍ إلى أكثر من ثورةَ دمٍ واحدة إنَّها ثورةُ دم الحُسينِ الَّذي لا زالَ يَفورُ يفورُ في عالمِ الحقيقة، يفورُ في الملأ الأعلى حيثُ استقرّ دمُ الحُسينِ هناك في عالم الخُلد ولا زالتَ أظلَّةُ العرشِ تقشعرّ؛ **(وَاقْشَعَرَّت أَظِلَّةُ العَرشِ مَعَ أَظِلَّةِ الخَلَائِق)**، هناكَ في عالم الخُلد حيثُ سكن الدمُ الفوار.

إذا ما دقَّقنا النظرَ فيما بينَ أيدينا من نصوص ومُعطيات وردتنا عن إمامنا السجَّاد صلواتُ الله وسلامهُ عليه، في أُفقِ الأدعيةِ وهي كثيرةٌ وكثيرةٌ جِدَّاً، وفي أُفقِ الزيارات، وفي أُفقِ الإجابا ت على أسئلة خواصّه، وفي سائرِ ما تكلَّم به وقَد تكلَّم كثيراً إمامنا السجَّادُ، ما وصلَ إلينا من حديثه وفترةُ إمامته كانت طويلةً، وصلت إلى خمسة وثلاثين من السنين، وربَّما تكونُ المدةُ أطول من ذلك بقليل.

يمكنني أن أُجمل من كُلِّ ذلك فأقول من أنَّ مرحلة إمامنا السجَّاد في البُعد التأويلي: **هي مرحلةُ التفصيلِ العقائدي**، أهمّ عقائدنا في عُمقها تحدَّث عنها إمامنا السجَّادُ وبيّنها لخواصّه ووصلت إلينا، **التفصيلُ العقائدي.**

وجاء بعدهُ الباقرُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه:

والباقر في حركة برنامجه التأويلي استمرَّ في عملية إنماء وتوسعة لما بدأهُ أبوهُ السجَّادُ صلواتُ الله عليهما، حركةُ توسعة وإنماء واضحينِ في سيرة الباقر، وبدأ يظهر في الواقع الشيعي المتخصصونَ فيما يرتبطُ بثقافة التأويل، المجموعاتُ المتخصصةُ بثقافة التأويل نشأت أيام الباقر، الباقر أنشأهم، ولذا كان الإمامُ الصَّادقُ حريصاً على أحاديث أبيه، دائماً يتحدَّثُ عن أهميّة أحاديث أبيه وكانَ يَقلقُ ويخافُ من ضياعها، أن تضيع أحاديثُ الباقرِ بسبب الشيعة، فلذا كان يمدح بعضاً من أصحابه فيقول: **(لَولاهُم لَضَاعَت أَحَادِيْثُ أَبِي)**، ما قال لضاعت أحاديثُ السجّاد.

في زمنَ الباقرِ يمكنني أن أقول: مثلما كانَ التفصيلُ العقائديّ في زمن السجّاد، وتحرّك الباقرُ في توسعة ذلك وإنمائه، الباقرُ هو الَّذي وضع لنا: **(التفصيل الفتوائي في الأحكامِ والعباداتِ والطقوس)**، ما عندنا من أُمَّهات أحكامِ العبادات فهي من الباقرِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه، فإنَّ الشيعة قبل الباقرِ ما كانت تمتلكُ هذا التفصيل الفتوائي، إذا أردنا أن نقوم بعملية مسح لما عندنا من فتاوى ومن أحكامٍ فقهية هكذا يُقالُ عنها في زماننا، وإلَّا فإنَّ الفقه هو معرفةُ الإمام، ولذا هناك من يُقسِّم الفقه إلى فقه أكبر، وفقه أصغر، فيُرادُ من الفقه الأصغر هذه الفتاوى، في الحقيقة الفتاوى هي في حاشية معرفة الإمام، هي صورٌ ورموزٌ وإشاراتٌ لأئمَّتنا وولايتهم، هي لا تنفكُ عنهم، هي جزءٌ من منظومة دينهم، لكنَّني أتحدَّثُ عن ترتيبِ الأولوياتَ والمقامات لهذه الأجزاء والمفردات من منظومتنا الدينية، الَّذي وضعَ لنا برنامج التفصيل الفتوائي هوَ باقرُ العلوم، أُمَّهاتُ قواعد الفُتيا في كُلِّ أبوابنا الفقهية الفتوائية مأخوذةٌ من أبي جعفرٍ الباقر صلواتُ الله وسلامهُ عليه.

من زمنَ الباقرِ نَنتقل إلى زمن الصَّادقِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه:

إنَّهُ زمنُ الثورة الفكرية، زمنُ الانفجار الفكري، في طول مسيرة حركة التأويل منذُ بيعة الغديرِ إلى ظهورِ القائم، عندنا ثورتان:

- **ثورةُ الدم**؛ وهي ثورةُ الحسين.
- **وثورةُ الفكر**؛ وهي ثورةُ الصّادق.

ولولا الانفجارُ الفكريُّ الَّذي فَجَّرهُ إمامنا الصَّادقُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه لَمَا بقي من ثورة الحُسينِ شيءٌ يُذكر، الَّذي نشرَ لنا فكر برنامج الحُسين هو إمامنا الصَّادق، كُلُّ ما عندنا من المعطيات والتفاصيل والزيارات هي من الصَّادقِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه، لا يعني أنَّ الأئمَّة قبل إمامنا الصَّادق لم يكونوا قد ساهموا في ذلك، إنَّني أُحدِّثكم عن صورة مقطعية وأُحدِّثكم عن الَّذي كانَ واضحاً وجاء واضحاً في هذه الصورة المقطعية، فالصَّادقُ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه مثلما كانَ دمُ الحُسينِ فوّار اً كَانَ الجعفَرَ فوّاراً، الجعفر هو اسمٌ نهرٍ في الجنَّة، إنَّهُ نهر للجعفريين، لا أعتقدُ أنَّ جعفرياً في

زماننا يوجد، لا وجود للجعفريين في زماننا، الجعفريّون من أشياعهم مِن الَّذينَ شَرِبوْا من ذلكَ النهر، والنهرُ الحقيقيّ الجعفرَ الثَّرّ هو جعفرَ الجعافرِ، إنَّهُ (أبو موسى)، كُنيتهُ (أبو عبد الله)، هذه كنيةٌ عامَّة..

إنَّني أقولُ وهذا واضحٌ في أحاديثِ الصَّادقِ: من أنَّ ثورة الحُسينِ قد أثمرت وأثمرت وأثمرت، ومن نتاجها، من نتاجها: (ثورةُ الصّادق)، ليسَ من نتاجها كما يقولون ثورةُ أهل المدينة، أو من نتاجها ثورةُ التوابين، التوابون شيعةٌ مُقصِّرون وأرادوْا أن يُكفِّروْا عن موقفهم السيئ. أنا لا أريدُ أن أتحدَّثَ عن البُعد التاريخي لثورة الحُسينِ، هذه موضوعاتٌ إذا ما فُتحت أبوابها فإنَّها ستقودنا إلى أبوابٍ أخرى أوسع.

كما قلتُ لكم: من أهداف الحسينِ هدفهُ المتوسط وهو استمرارُ مسيرة برنامج العترة الطاهرة، فأين أثمرت ثورة الحُسين؟

أثمرت في ثورة الصَّادقِ الَّتي نشرت حقائق المشروع الحُسيني بنحوٍ إلى هذه اللحظة ما أدركنا ممَّا قالهُ الصَّادقُ عن الحُسينِ إلَّا شيئاً يسيراً، لماذا؟ لأنَّ ثقافة المؤسَّسة الدينيّة الشيعيّة ذهبت باتجاه الفكرِ القُطبي في تحليلِ ثورةِ الحُسينَ، اتجهوْا باتجاه ثقافة سقيفة بني ساعدة، مُشكلةٌ كبيرةٌ مُعقَّدة.

بعد استشهاد الصَّادقِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه جرت في الأُمَّة ظروفٌ تكادُ أن تكون شبيهةً بالظروف الَّتي جرت ما بعد عاشوراء، مع مُلاحظة التغايُرِ في الأزمنة والأمكنة، والخصائص الموضوعية، وما صارَ عليه من تغييرٍ في الواقع السياسي وفي الواقع الاجتماعي، لكن حدث في الأُمَّة في الجانب الوجداني والنفسي ما يُشابهُ كثيراً ما حدث في الأُمَّة بعد عاشوراء.

ولذا جاء إمامنا الكاظمُ ليقوم بدورٍ مُشابه لدورِ السجَّاد في حركة البرنامج التأويلي.

فمثلما الظروف حبست الإمام السجّاد في بيته، التقيّةُ حبست الإمام الكاظم حينما يكون خارجَ الحبوس، والظالمون العبّاسيون حبسوه في زنزاناتهم وطواميرهم، فإن لم يكن في الطامورة فهو حبيسٌ في طامورة التقيّة وإن كان في بيته.

مع مُلاحظة: أنَّ الإمام الكاظم صلواتُ الله وسلامهُ عليه فعل بالضبط ما فعل السجَّادُ، إنَّهُ التفصيلُ المعرفيّ، أحاديثُ الكاظمِ امتازت بميزة القاطعية والوضوح العجيب، وشخَّصت ملامح المعرفة الأصيلة.

تَشابُهٌ واضحٌ في ما بينَ ما جاءنا عن السجَّادِ وما جاءنا عن الكاظمِ وأنا أتحدَّثُ في جانبٍ مقطعيٍ..

ومن الكاظمِ إلى الرضا:

إلى إمامنا الضامن صلواتُ الله وسلامهُ عليه، إلى الإمام العجيب الَّذي أنهى كُلَّ ما تقدَّم، وفتحَ باباً جديداً وغسل كُلَّ شيء، هذا هو الإمامُ الغاسلُ المنظِّف، لقدَ نظَّف الواقع الشيعي في ضوء حركة التأويل من كُلِّ قذارات السقيفة الَّتي لحقت بهذه المسيرة بسببِ التقيَّة، بسببِ المداراة، جاء الرِضا فغسلَ ما غَسَلَ من قذارات السَّقيفة وتفاريعها الأموية والعبّاسية وغيرَ ذلك، وغسل ما غسل ممَّا لَحق بالواقع الشيعي من قذارات ونجاسات الغُلاة من أمثال السبأية والخطابية.. فإمامنا الرضا أنهى ما قامَ به الأئمَّةُ وما استطاعوْا أن يُكملوه بسببِ الظروف المحيطة بهم، وفتح باباً جديداً، لماذا؟ لأنَّ مرحلةً قادمةً سيقومُ بالعمل عليها الأئمَّة الَّذينَ سيأتون من بعده، نَظَّفَ لهم الطريق، نَظَّفَ الواقع الشيعي، طَهَّرَ الطريق من قذارات أصحابِ العمائم من مراجع الشيعة من الواقفة من الكلاب الممطورة لعنةُ الله عليهم.

بعد إمامنا الرضا جاءنا الأئمَّة الجوادُ والهادي والعسكري:

بنحوٍ عام في حركة برنامجهم التأويلي الثلاثة مهَّدوْا لمرحلة الغيبة بشكلٍ مُباشر، كُلُّ إمامٍ بحسبِ المقطعِ الزماني الَّذي عاش فيه، لكنَّ الثلاثة من إمامنا الجواد إلى إمامنا الحسن العسكري مهَّدوْا لمرحلة الغيبة بشقّيها، بشقّيها بالشقِّ الأصغرِ منها، وبالشقِّ الأكبر، غيبتان؛ غيبةٌ قصيرةٌ وغيبةٌ طويلة، بدأ التمهيدُ للواقع الشيعي الَّذي سيكونُ عليه زمان الغيبة منذُ جواد الأئمَّة، وفي الوقت نفسه فإنَّ الإمام الجواد أكملَ ما كانَ إمامنا الرضا قد فتح أبوابهُ.

قلتُ لكم:

- من أنَّ الرضا أنهى ما قبلهُ وفتح أبواباً.
- الجوادُ استمرَّ في توسعة وإنماء ما فتح الرِضا أبوابهُ.

أمَّا الهادي صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه : فقد وضع النقاط اللامعة الواضحة البرّاقة على كُلِّ حروف الحقيقة، الإمامُ الهادي وضعَ لنا نقاطاً لامعةً واضحةً.

إمامنا العسكري: استمرَ في نفس برنامج أبيه الهادي، في وضع النُقاط اللامعة والواضحة والبرّاقة على حروف الحقيقة، وما تفسيرهُ الشريف إلَّا مثالٌ واضحٌ، مثلما جاءتنا الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة هي نقطةٌ لامعةٌ واضحةٌ عن إمامنا الهادي، مثلما جاءتنا الزيارةُ الغديريةُ الكبيرة، زيارةُ الأمير عن إمامنا الهادي نقطةٌ لامعةٌ واضحة.

- فالزيارةُ الغديريةُ زيارةُ معرفة تاريخية.
- والزيارةُ الجامعةُ الكبيرة زيارةُ معرفة عقائدية.

نقاطٌ لامعةٌ واضحة، وهذه أمثلةٌ، هذه أمثلةٌ مُستعجلة.

حتَّى وَضعت الغيبةُ أطنابها:

وعصرُ الغيبة لهُ خُصوصياته، ولهُ قوانينه، إمامُ زماننا يتواصلُ مع العالمِ بشكلٍ عام ومع الواقعِ الشيعي بشكلٍ خاص، تارةً بنحوٍ مباشر وأخرى بنحوٍ غيرِ مُباشر، ما يُمكنني أن أصطلح عليه؛ (الألطافُ الجليةُ والألطافُ الخفية)، وهذه المضامينُ بُينت لنا في الروايات والأحاديث..

حين نقرأ في (دعاء الندبة الشريف) وهو دعاءٌ مرويٌّ عن إمامنا الصَّادق وعن صاحبِ الأمر صلواتُ الله عليهما، أقرأ عليكم من (مفاتيح الجنان)، حين نقرأ في هذا الدعاء الشريف: **أَيْنَ الْمُعَدُّ لِقَطْعِ دَابِرِ الظَّلَمَة، أَيْنَ الْمُنْتَظَرُ لِإِقَامَةِ الْأَمْتِ وَالعِوَجِ، أَيْنَ الْمُرْتَجَى لِإِزَالَةِ الجَورِ وَالعُدْوَان، أَيْنَ الْمُدَّخَرُ لِتَجْدِيْدِ الفَرَائِضِ وَالسُّنَن، أَيْنَ الْمُتَخَيَّرُ لِإِعَادَةِ الْمِلَّةِ وَالشَّرِيْعَة، أَيْنَ الْمُؤَمَّلُ لِإِحْيَاءِ الْكِتَابِ وَحُدُوده، أَيْنَ مُحْيِي مَعَالِمِ الدِّيْنِ وَأَهْله، أَيْنَ قَاصِمُ شَوْكَةِ الْمُعْتَدِيْنَ، أَيْنَ هَادِمُ أَبْنِيَةِ الشِّرْكِ وَالنِّفَاق، أَيْنَ مُبِيْدُ أَهْلِ الفُسُوقِ وَالعِصْيَانِ وَالطُّغْيَان، أَيْنَ حَاصِدُ فُرُوعِ الغَيِّ وَالشِّقَاق، أَيْنَ طَامِسُ آثَارِ الزَّيْغِ وَالأَهْوَاء، أَيْنَ قَاطِعُ حَبَائِلِ الكَذِبِ وَالافْتِرَاء، أَيْنَ مُبِيْدُ العُتَاةِ وَالْمَرَدَة، أَيْنَ مُسْتَأْصِلُ أَهْلِ العِنَادِ وَالتَضْلِيلِ وَالإِلْحَاد، أَيْنَ مُعِزُّ الأَوْلِيَاء وَمُذِلُّ الأَعْدَاء، أَيْنَ جَامِعُ الكَلِمَةِ عَلَى التَّقْوَى** - هذه المضامين وهي مضامينُ واسعة، وواسعةٌ جدَّاً، هل تأتي بكبسة زر؟ إذا كانَ الأمر هكذا إذاً لماذا هناك غيبةٌ قصيرة وهي في الحقيقة طويلة، وهناك غيبةٌ طويلة لكن بالمقايسة بين الغيبتين قطعاً تكونُ الغيبةُ الأولى قصيرة، لماذا كُلُّ هذه الغيبة إذا كانت القضيةُ بكبسة زر؟!

الأمرُ ليس كذلك، نحنُ في مسيرة تأويلية، وهذه المسيرةُ التأويليةُ تتفاعلُ معَ حركة الإنسانِ في كُلِّ الأرض بشكلٍ عام، ومع المجتمع الشيعي بشكلٍ خاص، هناكَ خصوصيةٌ للشيعة في هذا الموضوع، وهناكَ علاقةٌ لبرنامج الإمامِ معَ كُلِّ البشر، فالإمامُ ما هو خاصٌ بشيعته، مشروعُ إمامِ زماننا ليس مشروعاً للأرض فقط، إنَّهُ مشروع التقاء عوالم الغيبِ معَ عوالم الشهادة، الأرضُ جزءٌ يسيرٌ من هذا المشروع، لكنَّ الأرض هي المركز، الأرضُ هي عاصمةُ هذا المشروع، مثلما الكوفةُ هي عاصمةُ الإمامِ في الأرض، فالأرضُ هي عاصمة المشروع المهدويّ الإلهي، وإلَّا فإنَّ القضية لا تقفُ عند تأسيسِ دولة تحكم الناس، المشروعُ المهدويُّ هو مشروعُ الله، هو الغايةُ من هذه الخلقة، وهذه الخلقةُ ليست خاصةً بالإنسانِ فقط، وليست خاصةً بعالمِ الأرضِ فقط، الحكايةُ كبيرةٌ، لكنَّنا نحنُ والأرض.

هذه المضامينُ الَّتي قرأتها عليكم وهيَ ترتبطُ بعالمِ الأرضِ بشكلٍ مباشر، هذه العبائرُ وما تشتملُ على وسيعِ المعنى وتعقيده هل تتحقَّقُ بكبسةِ زر؟ لا يمكَنُ ذلك، أبى اللهُ إلَّا أن تجري الأمورُ بأسبابها.

في كتاب الغيبة لشيخنا النعماني / صفحة (٢٩٤)، الحديثُ الثاني: **بسنده، عن بشير النبّال، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِيْنَة، وَذَكَرَ مِثْلَ الحَدِيْث الْمُتَقَدِّم** - الحديثُ المتقدِّم حديثٌ عن المرجئة، أنا أذهبُ إلى موطن الحاجة - **إِلَّا أَنَّهُ قَال: لَمَّا قَدِمتُ الْمَدِيْنَةَ قُلتُ لِأَبِي جَعفَر** - للباقرِ صلواتُ الله عليه - **إِنَّهُم يَقُولون** - مَن هُم؟ المرجئة - **إِنَّ الْمَهْدِيَّ لَو قَام** - يتحدَّثون عن مهديّهم هم، فهم يعتقدون بمهدي بحسبِ مواصفاتهم - **إِنَّهُم يَقُولون؛ إِنَّ الْمَهْدِيَّ لَو قَام لَاسْتَقَامَت لَهُ الأُمُورُ عَفْواً** - هكذا بكبسة زر - **وَلا يُهْرِيْقُ محْجَمَةَ دَم** - فماذا قال إمامنا الباقر؟ - **فَقَالَ: كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَو اسْتَقَامَت لأَحَد عَفْواً لَاسْتَقَامَت لِرَسُول الله حِيْنَ أُدْمِيَت رُبَاعِيَتُه فِي أُحد وَشُجَّ فِي وَجْهِه، كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه** - الباقر يقول - **حَتَّى تَمْسَح نَحْنُ وَأَنْتُم العَرَقَ وَالعَلَق ثُمَّ مَسَح جَبْهَتَه** - الباقرُ صلواتُ الله عليه - **كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه حَتَّى تَمْسَح نَحنُ وَأَنْتُم** - نحنُ آلُ مُحَمّد، وأنتم شيعتنا - **حَتَّى تَمْسح نَحْنُ وَأَنْتُم العَرَقَ وَالعَلَق** - العَلَقُ هو الدمُ المتجمد، والإمام يُشيرُ إلى ما كان يجري في الحروبِ أيام زمانه، هكذا كان يفعلُ المقاتلون، باعتبارِ أنَّ عملية القتلِ والقتال تكونُ بنحوٍ مُباشر باستعمال السيوف، فينتشرُ الدمُ في كُلِّ مكان في ساحة المعركة، ويتجمَّد على الوجوه وعلى الأبدان وعلى الثياب، إمَّا من نفس المقاتل، وإمَّا من دماء الَّذينَ كانَ يُقاتلهم.. الإمامُ هنا لا يتحدَّثُ عن عرقٍ وعَلَقٍ بما هو هو، وإنَّما يريدُ أنَ يقول من أنَّ الأمور لابُدَّ أن تجري بالأسباب، هذا لا يعني أنَّ كُلَّ شيء لابُدَّ أن يجري بالأسبابِ الطبيعيةِ فإنَّ الأمر لن يستقيم، ما يمكنُ أن يجري بالأسباب الطبيعيةِ سيجري، وما يحتاجُ فيه الإمام أن يُفعِّل ولايتهُ التكوينيَة فإنَّهُ سيُفعِّلُ ولايتهُ التكوينية.

الحديثُ الثالث، صفحة (٢٩٥): **عَن المفضَّل بن عُمَر يَقُول: سَمِعْتُ أَبَا عَبْد الله** - إمامنا الصّادق - **وَقَد ذَكَرَ القَائم، فَقُلْتُ: إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَمْرُهُ فِي سُهُولَة** - المفضَّل يقول للإمام الصَّادق بعد أن ذكرِ القائم أو ذُكر القائم عنده - **فَقُلْتُ: إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُون أَمْرُهُ فِي سُهُولَة، فَقَالَ: لَا يَكُونُ ذَلِك حَتَّى تَمْسَحُوا العَلَقَ وَالعَرَق** - يُخاطبَ الشيعة، الأمورُ تجري بأسبابها.

وهذا الحالُ يجري في زمانِ الغيبة بحسبِ خصائصها، ما أشرتُ إليه قبل قليل، مِمَّا أسميتهُ بالألطاف الجليةِ والألطاف الخفية، فحركةُ البرنامج التأويلي تستمرُ إمّا بطريقِ التدخل الجليِ من الإمام، أو بطريقِ التدخل الخَفي.

بطريق التدخل الجلي:

كالمجموعة الخاصَّة الَّتي تُحدِّثنا الرواياتُ عنها من أنَّهم على صلة مُستمرّة معَ الإمامِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه، وهؤلاء لا يعرفهم الناس ولا يُعرَفون أسرارهم ولَا يدَّ عونَ شيئاً وتذهبُ أسرارهم معهم إلى قبورهم، فإذَا قالَ أحدٌ إنِّي منهم فهذا كذَّاب، هناكَ مجموعةٌ على صلة مُباشرة معَ الإمامِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه، مثلما كانَ أصحابُ الأئمَّة على صلة مباشرة بهم، هؤلاء لا يعرفهم النَّاس، حينَ أقول لا يعرفهم النَّاس لا يعرفون أنَّهم على صلة بالإمام، وإلَّا فهم يعيشونَ بينَ النَّاس، ولكنَّ النَّاس لا يَعرفونهم من أنَّهم علَى صلة مباشرة بالإمام، وهُم لا يكتمون أمرهم فقط، بل يكتمون كتمانهم، هناك كتمان، وهناك كتمانٌ للكتمان، مرةً أنِّي أكتمُ الأمر، ولكنَّ الآخرين يعرفون عَني أنَّني أكتمُ أمراً، هذا كتمان، ولكنَّهُ ما هو بكتمانٍ حقيقي، الكتمانُ الحقيقيّ أن أكتم كتماني، وذلكَ أنِّي أكتمُ أمراً وفي الوقت نفسه أفعلُ ما أفعلُ من الأمورِ وأقولُ ما أقولُ من الأمورِ الَّتي أقنعُ الآخرين من أنَّني لا أكتمُ شيئاً، قطعاً هذا أمرٌ عسيرٌ وصَعبٌ جِداً وهو خاصٌ بهذه المجموعة الَّتي هي على صلةِ مُباشرة بإمامِ زماننا، الرواياتُ حدَّثتنا بذلك ما أنا الَّذي أقول، من أنَّهُ في الغيبة الصغرى لهُ من شيعته وفي الغيبةِ الكبرى ممَّن هم على اتصالٍ مباشرٍ به، هذا ما يرتبطُ بالألطافِ الجليَة.

أمَّا ما يرتبطُ بالألطاف الخفيَّة:

هو تسديدُ الإمامِ لأشياعه عن بعد من دون اتصالٍ مُباشر، تحريكهم بالاتجاه الَّذي يريدهُ، توجيههم إلى الجهة الَّتي يريدها، وهذا الأمرَ حدَّثتنا الرواياتُ عنه بل هو من صَميمِ عقيدتنا، هذا موضوعٌ واسعٌ مُفصّل، يحتاجُ إلى وقتٍ طويلٍ كي أتشعَّب في كواليسه ودهاليزه وزواريبه وجميع جهاته.

لماذا ركضَ مراجعُ الشيعة إلى النَّواصب إلى العيون الكدرة؟ فهم وضعوا أنفسهم في مرحلة التنزيل، فلمَّا وجَّهوا أنظارهم إلى الأحاديث التفسيرية ما فَهِموا منها شيئاً، هجروها و وجدوا لهم حُجَّةً في تضعيفها اعتماداً على قذارات علم الرجال، وراحوا يركضون باتجاه النَّواصب، فوجدوا عندهم المنهج العمري في التفسير فتبنّوه، ثُمَّ بعد ذلك قاموا بعملية تدليس، بعملية تمويه للمنهج العمري، بحشرٍ لبعض النصوص عن أهل البيت، وبحديث عن أ هل البيت، وفي الحقيقة هم شوَّهوا المنهج العمري، إذا يأتي مُنصفٌ للمقارنة بين تفاسير مراجع الشيعة، وتفاسير نواصب السقيفة، فإنَّ تفاسير نواصب السقيفة أمتن وأقوى وأفضل وفقاً للمنهج العمري، مراجعُ الشيعة ضيّعوا الطريقين، لا هم الَّذين اتبعوا المنهج العمري بشكلٍ كامل، لأنَّهم إذا اتبعوه سوف يخسرون الأخماس، ويخسرون الشيعة، يخسرون عوام الشيعة، ويخسرون سمعتهم، وإذا ما توجَّهوا إلى تفسير أهل البيت لا يفهمونَ منهُ شيئاً، لماذا؟ لأنَّهم حبسوا عقولهم في مرحلة التنزيل، فيجدونَ أحاديث التفسير خُرافةً، والَّذين يتابعون برامجي يجدون أنَّ أحاديث التفسير حينما أتناولها تنطبقُ انطباقاً حقيقياً واضحاً وفقاً للعقل السليمِ ووفقاً للمذاق الأدبي العربي، معَ تصديقٍ لِمَا جرى على أرض الواقع وما جرى في تاريخنا.

لماذا لا تكونُ الأحاديثُ التفسيريةُ أحاديثاً خُرافيةً حينما أُطبِّقها على آيات الكتاب الكريم، حينما أُفسِّر الكتاب الكريم بأحاديث أهل البيت التفسيرية؟! لأنَّني أخذت كُلَّ ذلك في وعاء شاملٍ كامل، هو هذا الوعاء لفهمِ الدينِ ضمن مرحلتي التنزيل والتأويل، ترتفعُ الإشكالات.

كثيرونَ منهم من أصحابِ العمَائمِ حينما يُنصتون إلى برامجي يقولون: من أين يأتي بهذه المعاني؟ إنَّني لا آتي بها من عندي، هي أحاديثهم، غايةُ الأمر أنَّني وضعتُ كُلَّ ذلك في وعاءٍ واحد، قولوا في نظريةٍ واحدة، في فهمٍ واحد، في خارطةٍ واحدة، أنِّي فهمتُ الدين وفقاً لهذه الرؤية (للتنزيلِ والتأويل) بحسبِ ما بينتهُ وشرحتهُ.

لو أنَّ الشيعة ينتقلون من مرحلةِ التنزيلِ إلى مرحلةِ التأويل فإنَّ أحوالهم - أتحدَّثُ عن أحوالهم العقائديةِ عن أحوالِهم الثقافيةِ الدينيّة - ستتغيّر تغيّراً كبيراً، قطعاً هذا سينعكسُ علىٰ واقعهم السياسيِ والاجتماعي بالضرورة، لكنَّني لا أتحدَّثُ هنا عن واقعَ اجتماعيَ أو عن واقعِ اقتصاديٍ أو عن واقعٍ سياسي، أتحدَّث عن واقعٍ ديني، عن واقعٍ معرفيٍ في ضوء المعرفةِ الدينيّة، لو أنَّ الشيعة ينتقلون من مرحلة التنزيل إلى مرحلة التأويل، نحنُ لا نتوقَّعُ من البقَّالين أن يفعلوْا ذلك، نتوقَّعُ من المراجع.

لكنَّني أُبشِّركم ؛ لن يخرجوْا من مرحلةِ التنزيل، مصالحهم ومصالحُ أبنائهم، ومصالحُ عوائلهم، ويريدون للشيعة أن يبقوْا حميراً كي يضحكوْا عليهم سوف يبقون في مرحلةِ التنزيل لن يخرجوْا منها.

بهذا ينتهي الشأنُ الثالثَ من شؤونِ النُبوّةِ الخاتمة.